

الإرادة لِكَيْ نُؤْمِنَ

المحاضرة ١٢: السَّبِيُّ الْبَيْلَاجِيُّ لِلْكَنِيسَةِ

أ.ر. سي. سرول

عِنْدَمَا أَلَفْتُ كِتَابَ "الإِرَادَةُ لِكَيْ نُؤْمِنَ"، الَّذِي بُنِيَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمُحَاضِرَاتُ عَنِ حُرِّيَّةِ الإِرَادَةِ، أَذَلَيْتُ بِمُلاحَظَةٍ تَحْمِينِيَّةٍ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لُوَثْرُ حَيًّا الْيَوْمَ، يُرَاقِبُ الْعَالَمَ الإِنْجِيلِيَّ فِي مُجْتَمَعِنَا، لِأَلْفِ كِتَابًا، عَيْرَ ذَلِكَ الَّذِي أَثَارَ جَدَلًا كَبِيرًا فِي أَيَّامِهِ، وَالَّذِي دَعَاهُ "السَّبِيُّ الْبَيْلَاجِيُّ لِلْكَنِيسَةِ". اعْتَقَدْتُ بِأَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي كَانَ لِيُؤَلِّفَهُ الْيَوْمَ سَيَحْمِلُ عُنْوَانَ "السَّبِيُّ الْبَيْلَاجِيُّ لِلْكَنِيسَةِ". وَسَبَبُ إِذْلَاقِي بِهَذَا التَّعْلِيْقِ التَّحْمِينِيَّ هُوَ أَنَّنِي حِينَ أَنْظَرُ حَوْلِي، أُلَاحِظُ تَأْثِيرًا عَيْرَ مَسْبُوقٍ لِلْبَيْلَاجِيَّةِ، يَتَجَلَّى فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْعَالَمِ الإِنْجِيلِيَّ فِي هَذَا الْعَصْرِ. وَبِصَرَاحَةٍ، يُثِيرُ ذَلِكَ قَلْبِي الشَّدِيدَ.

هُنَاكَ عِدَّةُ عَوَامِلَ تُسَاهِمُ فِي صِحْوَةِ الْفِكْرِ الْبَيْلَاجِيِّ الَّذِي اجْتَاخَ الْكَنِيسَةَ، لَكِنَّ بِالتَّأَكِيدِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْعَوَامِلِ الْمُسَاهِمَةِ هُوَ خِدْمَةُ وَعَمَلُ وَلاهُوتِ قِسِّ مِنَ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ يُدْعَى تَشَارْلُزُ فِينِي (Charles Finney). مُؤَخَّرًا، أُعِيدَ إِصْدَارُ كِتَابِ "اللاهُوتِ النِّظَامِيِّ" لِتَشَارْلُزُ فِينِي فِي طَبْعَةٍ عَامَ ١٩٩٤. وَعَلَى غِلَافِ الْكِتَابِ، وَصِفَ بِأَنَّهُ "أَعْظَمُ صَانِعِ نَهْضَةٍ فِي أَمْرِيكَ". يَرَى كَثِيرُونَ أَنَّ فِينِي هُوَ مُؤَسِّسُ الْكِرَازَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الْحَدِيثَةِ. وَقِيلَ عَنِ تَشَارْلُزُ فِينِي إِنَّهُ مِنْ خِلَالِ خِدْمَتِهِ الْكِرَازِيَّةِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ، قَادَ أَكْثَرَ مِنْ ٥٠٠ أَلْفِ نَفْسٍ إِلَى الْمَسِيحِ. وَأَصْبَحَ أُسْلُوبُهُ فِي الْكِرَازَةِ هُوَ الْبِنْيَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلْكِرَازَةِ الْجَمَاعِيَّةِ فِي أَمْرِيكَ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ. وَكَانَ لَهُ تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ، مَثَلًا، عَلَى بَيْبِلِي سَانْدَاي (Billy Sunday)، الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، وَعَلَى الْكَارَزِينَ الْآلَاحِقِينَ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا.

لَكِنَّ فِي أَيَّامِهِ، تَعَرَّضَ لِإِنْتِقَادَاتٍ لَاهُوتِيَّةٍ لِأَذْعَةٍ مِنْ بَعْضِ الْلاهُوتِيِّينَ الْأَكْثَرِ عِلْمًا فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ. كَتَبَ الدُّكْتُورُ بِي. بِي. وَارْفِيلْدُ (B.B. Warfield) مِنْ بَرِينْسْتُون (Princeton) ذَاتَ مَرَّةٍ عَنِ فِينِي يَقُولُ: "يُمْكِنُ حَذْفُ اللَّهِ تَمَامًا مِنْ لَاهُوتِهِ" - "أَيُّ لَاهُوتِ فِينِي - "دُونَ أَنْ يَتَأَثَّرَ ذَلِكَ الْلاهُوتِ". هَذَا نَقْدٌ لِأَذْعٍ، أَنْ تَقُولَ إِنَّهُ يُمْكِنُ حَذْفُ اللَّهِ تَمَامًا مِنْ لَاهُوتِ أَحَدِهِمْ دُونَ أَنْ يُحْدِثَ ذَلِكَ تَغْيِيرًا فِي لَاهُوتِهِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَعْلِمَكُمُ بِأَنَّ الْبَعْضَ فِي أَيَّامِهِ انْتَقَدُوا تَعْلِيمَهُ بِشِدَّةٍ.

فِي هَذَا الْعَصْرِ، الدُّكْتُورُ رُوبَرْتُ جُودْفِرِي (Dr. Robert Godfrey)، رَيْسُ كَلِيَّةِ وَسْتْمِينْسْتِرْ لِللاهوتِ فِي إِسْكَانْدِيدُو (Escondido) بِكَاليفُورْنِيَا، وَهُوَ أَيْضًا مُؤَرِّخٌ كَنَسِيٌّ، عَلَّقَ قَائِلًا إِنَّهُ حِينَ كَانَ يُعَلِّمُ طُلَّابَهُ عَنِ لَاهُوتِ تَشَارْلُزُ

فِينِي، كَانَ يَحْرُصُ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ عَلَى تَكْلِيفِهِمْ بِالْقِرَاءَةِ مِنْ كِتَابَاتِ فِينِي نَفْسِهِ، وَقَالَ إِنَّ السَّبَبَ هُوَ: "لَأَتْنِي تَعَلَّمْتُ أَنَّ الطَّلَابَ لَنْ يُصَدِّقُوا كَلَامِي كَمَا هُوَ. وَمَا لَمْ أُوثِّقَهُ بِتَكْلِيفِهِمْ بِقِرَاءَةِ الْكَلَامِ الَّذِي كَتَبَهُ فِينِي بِنَفْسِهِ، سَيَشْكُونَ تَمَامًا فِي أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ قَدْ عَلَّمَ بِمَا عَلَّمَهُ فِينِي، وَظَلَّ مَعَ ذَلِكَ يَحْطَى بِالاحْتِرَامِ وَالشُّهُرَةِ دَاخِلِ الْأَوْسَاطِ الْإِنْجِيلِيَّةِ الَّذِينَ يَحْطَى بِهِمَا الْيَوْمَ". وَتَابَعَ جُودْفِرِي قَائِلًا إِنَّهُ، بِحَسَبِ رَأْيِهِ، لَمْ يَأْتِ لَاهُوتِي فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ كَانَ أَكْثَرَ ثَبَاتًا عَلَى الْبِيلاجِيَّةِ - لَيْسَ شَبَهَ الْبِيلاجِيَّةِ، بَلِ الْبِيلاجِيَّةِ - مِنْ فِينِي نَفْسِهِ. وَفِي الْوَاقِعِ، يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِلَى حَدِّ مَا إِنَّ فِينِي فَاقَ بِيلاجِيوسَ نَفْسَهُ. وَسَرَى الْمَدَى الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ.

مَرَّةً أُخْرَى، سَبَبَ إِصْرَارِ الدُّكْتُورِ جُودْفِرِي عَلَى أَنْ يَقْرَأَ الطَّلَابُ كِتَابَاتِ فِينِي نَفْسَهَا - وَأَنْصَحَكُمْ بِفِعْلِ الْأَمْرِ نَفْسِهِ، بِأَنْ تُمَسِّكُوا كِتَابَهُ "اللاهوت النظمي"، وَتَفْتَشُوا فِيهِ بِأَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَكْتَفُوا بِكَلَامِي عَمَّا قَالَهُ فِينِي أَوْ عَلَّمَهُ. فَالسَّبَبُ الَّذِي دَعَا جُودْفِرِي إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَدْعُونِي إِلَى أَنْ أَنْصَحَكُمْ بِفِعْلِ الْأَمْرِ نَفْسِهِ، هُوَ أَنَّ تَشَارُلْزُ فِينِي بَطَلَ الْإِنْجِيلِيَّ حَقِيقِي. لَكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي يُرَادُنِي بَيْنَمَا أَقْرَأُ كِتَابَاتِ فِينِي هُوَ إِنْ كَانَ فِينِي الْإِنْجِيلِيَّ مِنَ الْأَسَاسِ. فَبِحَسَبِ التَّارِيخِ، حِينَ نَفَكَّرُ فِي مَعْنَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ الْإِنْجِيلِيَّ، لَسْنَا نُدْرِكُ الْبِيلاجِيَّ عَادَةً تَحْتَ هَذِهِ الْفِتْيَةِ، وَلَسْنَا نُدْرِكُ تَحْتَ فِتْيَةِ الْإِنْجِيلِيِّينَ أَنَسًا يُنْكِرُونَ فِي ثَبَاتِ وَحَرْمِ النَّظَرِيَّةِ الْبَدَلِيَّةِ الْاسْتِرْضَائِيَّةِ لِلْكَفَّارَةِ. لَكِنَّ الْأَهَمَّ هُوَ أَنْ مُصْطَلَحَ "الْإِنْجِيلِيَّ" اسْتُخْدِمَ عَبْرَ التَّارِيخِ لَوْصِفِ الْبُرُوتَسْتَانِيِّينَ الَّذِينَ يَعْتَنِقُونَ الْعَقِيدَةَ الْكِتَابِيَّةَ لِلتَّبَرِيرِ بِالْإِيمَانِ وَحَدَهُ. وَدَعِيَ الْإِنْجِيلِيُّونَ "الْإِنْجِيلِيِّينَ" أَوَّلًا فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ. وَالْكَلِمَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ كَلِمَةِ "الْإِنْجِيلِ" فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ صِفَةً تُنْسَبُ إِلَى أَشْخَاصٍ. فَإِنَّ "الْإِنْجِيلِيَّ" هُوَ شَخْصٌ يَقْبَلُ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ مِثْلَمَا قَدَّمَهَا الْمُصْلِحُونَ الْبُرُوتَسْتَانِيِّونَ، وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِعَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ بِالْإِيمَانِ وَحَدَهُ.

إِذَا صَرَفْتُمْ بَعْضَ الْوَقْتِ فِي قِرَاءَةِ "اللاهوت النظمي" لِتَشَارُلْزُ فِينِي، سَتَكْتَشِفُونَ أَنَّهُ يَسْتَفِيضُ فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَى عَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ الْقَضَائِيَّ، وَعَلَى عَقِيدَةِ "سُولَا فِيدِي". عَلَى سَبِيلِ الْمُرَاجَعَةِ، عَقِيدَةُ "سُولَا فِيدِي"، أَوْ "التَّبَرِيرُ بِالْإِيمَانِ وَحَدَهُ"، تَقُولُ إِنَّهُ حِينَ يَلْتَفِتُ الْخَاطِئُ إِلَى الْمَسِيحِ بِإِيمَانٍ، وَيَضَعُ ثِقَتَهُ فِي الْمَسِيحِ دُونَ سِوَاهُ، يُعْلِنُ اللَّهُ قَضَائِيًّا بِرَّ هَذَا الْخَاطِئِ، بِفَضْلِ الْإِحْتِسَابِ، أَوْ انْتِقَالَ اسْتِحْقَاقِ الْمَسِيحِ وَبَرِّهِ إِلَى الْحِسَابِ الْقَانُونِيِّ لِلْخَاطِئِ، الَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَى الْإِسْتِحْقَاقِ وَإِلَى أَيِّ بَرٍّ فِي ذَاتِهِ.

بِحَسَبِ رَأْيِ فِينِي، هَذِهِ النَّظَرَةُ لِلتَّبَرِيرِ هِيَ تَشْوِيهُهُ لِلْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ. فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُصَدِّرَ اللَّهُ حُكْمًا قَضَائِيًّا بِتَّبَرِيرِ أَحَدِهِمْ، بَيْنَمَا هُوَ فِعْلِيًّا لَيْسَ بَارًّا فِي ذَاتِهِ. وَفِي هَذَا الصِّدَدِ، اشْتَرَكَ فِينِي فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَى التَّبَرِيرِ الْقَضَائِيِّ مَعَ الْكَاثُولِيكِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ.

قَالَ فِيْنِي عَنْ تَبْرِيرِ الْخَاطِئِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْرُرُ الْخَطَاةَ، لَكِنَّهُ يَصْفَحُ عَنْهُمْ. فَهُوَ لَا يُعْلِنُ بِرَّهْمُ. وَقَالَ فِيْنِي إِنَّ عَقِيْدَةَ الْبِرِّ الْمُحْتَسَبِ "مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْإِفْتِرَاضَاتِ زَيْفًا وَلَا مَعْقُولِيَّةً. فَاسْتَحْقَاقُ الْمَسِيحِ لَيْسَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ، هُوَ أَسَاسٌ خَلَاصِنَا". إِذْنِ، دُونَ شَكِّ، رَفَضَ تُشَارِلُزُ فِيْنِي عَقِيْدَةَ الْإِحْتِسَابِ، وَرَفَضَ مَعَهَا الْعَقِيْدَةَ الْبُرُوسْتَانْتِيَّةَ الْعَرِيْقَةَ لِلتَّبْرِيرِ بِالْإِيْمَانِ وَحْدَهُ.

دَعُوْنِي أَرَا جُعْ ذَلِكَ قَلِيْلًا. إِذَا كَانَتْ "سُؤْلًا فِيْدِي"، أَوْ عَقِيْدَةُ التَّبْرِيرِ بِالْإِيْمَانِ وَحْدَهُ، بَنَدًا أَسَاسِيًّا فِي الْإِنْجِيْلِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَقَدْ رَفَضَهَا تُشَارِلُزُ فِيْنِي، فَالسُّؤَالُ الْبَدِيْهِ هُوَ: كَيْفَ يُمَكِّنُ اعْتِبَارُهُ إِنْجِيْلِيًّا؟ وَفِي الْوَاقِعِ، يُمَكِّنُ طَرْحَ سُؤَالٍ أَعْمَقَ مِنْ ذَلِكَ: فَإِذَا كَانَتْ "سُؤْلًا فِيْدِي" تَعْكُسُ الْإِنْجِيْلُ الْكِتَابِيَّ بِدِقَّةٍ، وَقَدْ رَفَضَ تُشَارِلُزُ فِيْنِي الْإِنْجِيْلُ الْكِتَابِيَّ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَدْعُوهُ مَسِيحِيًّا؟ رَبَّمَا يَكُونُ مَسِيحِيًّا بِسَبَبِ إِعْجَابِهِ الشَّدِيْدِ بِفَضَائِلِ يَسُوعَ. وَبِصِفَتِهِ مُحَامِيًّا صَلِيْعًا، اسْتَخْدَمَ سَتَّى وَسَائِلَ الْإِفْتِنَاعِ الَّتِي أُتِيْحَتْ لَهُ، وَتَوَلَّى مُهْمَةً جَذِبَ الْبَشَرَ لِيَكُونُوا أَتْبَاعًا لِيَسُوعَ، لَكِنْ لَيْسَ بِالْمَعْنَى الْكِتَابِيَّةِ لِمَفْهُومِ أَتْبَاعِ يَسُوعَ. فَقَدْ كَانَ مَاهِرًا فِي أَسْلُوبِهِ الْكِرَازِيَّ وَفِي وَسَائِلِ الْإِفْتِنَاعِ.

أَتَذَكَّرُ أَنَّهُ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْ إِيْمَانِي، جَاءَ كَارِزُّ إِلَى الْمَدِيْنَةِ، وَقَالَ لِي شَخْصِيًّا: "دَعْنِي أَجْلِسُ مَعَ أَيِّ شَخْصٍ عَلَى انْفِرَادٍ لِمُدَّةِ رُبْعِ سَاعَةٍ، وَسَأَجْعَلُهُ يَتَّخِذُ قَرَارًا بِاتِّبَاعِ الْمَسِيحِ". كُنْتُ حَدِيْثَ الْإِيْمَانِ، لَكِنْ أَذْهَلَنِي هَذَا التَّصْرِيْحُ. فَكَيْفَ يَظُنُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَفُودَ أَيِّ شَخْصٍ إِلَى الْمَسِيحِ فِي غُضُوْنِ رُبْعِ سَاعَةٍ؟ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَمْرُحُ. بَلْ كَانَ جَادًا. وَكَانَ عَلَى قَنَاعَةٍ بِأَنَّ كُلَّ مَا يَلْزَمُ لِإِقْتِيَادِ أَحَدِهِمْ إِلَى الْمَسِيحِ هُوَ حُجَّةٌ جَيِّدَةٌ، وَسَلِيْمَةٌ، وَمُقْنِعَةٌ. وَبِحَسَبِ قُوَّةِ هَذِهِ الْحُجَّةِ الْمُقْنِعَةِ وَحْدَهَا، يُمَكِّنُ دَفْعَ أَحَدِهِمْ إِلَى اتِّخَاذِ قَرَارٍ بِاتِّبَاعِ الْمَسِيحِ.

يُسَمَّى ذَلِكَ، بِصِفَةِ عَامَّةٍ، "كِرَازَةُ الْقَرَارِ"، حَيْثُ تَتَمَحَوَّرُ الْكِرَازَةُ بِرُمَّتِهَا حَوْلَ إِفْتِنَاعِ أَحَدِهِمْ بِمُمَارَسَةِ إِرَادَتِهِ لِاتِّخَاذِ قَرَارٍ بِاتِّبَاعِ الْمَسِيحِ.

لَا بَأْسَ أَنْ نُحَاوِلَ أَنْ نَكُونَ مُقْنِعِيْنَ قَدَرَ الْإِمْكَانِ عِنْدَ دَعْوَةِ النَّاسِ لِقُبُولِ الْمَسِيحِ. فَمَنْ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ كِرَازَةَ الْعَهْدِ الْجَدِيْدِ دَعَتِ النَّاسَ إِلَى قُبُولِ الْمَسِيحِ، وَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، اسْتَعْمَلَ الْكَارِزُونَ كُلَّ وَسِيْلَةٍ مُقْنِعَةٍ لَدَيْهِمْ. لَكِنَّهُمْ أَخْبَرُونَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بِأَنَّ فَاعِلِيَّةَ الْإِنْجِيْلِ لَا تَكْمُنُ فِي فَصَاحَةِ الْبَشْرِ، أَوْ فِي حُجَجِهِمْ الْمُقْنِعَةَ، وَإِنَّمَا فِي شَخْصِ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَعَمَلِهِ، الَّذِي يُطَبِّقُ الْإِنْجِيْلَ فِي قُلُوبِ الْمُسْتَمْعِيْنَ. لَكِنْ هُنَاكَ مَنْ يُؤْمِنُونَ حَقًّا بِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَيْسَ ضَرْوْرِيًّا، وَبِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدِهِمْ أَنْ يَتَجَدَّدَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ.

قَبْلَ أَنْ أَقُولَ الْمَزِيْدَ عَنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَنظُورِ فِيْنِي، لِنَتَقَبَّلْ إِلَى الْفِكْرَةِ التَّالِيَةِ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَأْيِهِ عَنِ الْكُفَّارَةِ. فَقَدْ رَفَضَ تَمَامًا الرَّأْيَ الْبَدِيِّيَّ الْإِسْتِرْضَائِيَّ عَنِ الْكُفَّارَةِ، بِنَاءً عَلَى أُسُسٍ قَانُونِيَّةٍ. فَقَالَ إِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحْيِلِ أَنْ يَتَمَتَّعَ أَحَدٌ

بِاسْتِحْقَاقٍ إِضَافِيٍّ، يُمَكِّنُ نَقْلُهُ قَضَائِيًّا إِلَى شَخْصٍ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ قَدْ عَاشَ حَيَاةً كَامِلَةً، يُحْسَبُ كَمَا لَهُ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ لِشَخْصٍ آخَرَ. وَعَلَى هَذَا الْمُنَوَالِ نَفْسِهِ، لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ إِرْضَاءُ عَدْلِ اللَّهِ بِحَمَلِهِ لِحَطَايَانَا، وَاحْتِسَابِ ذَنْبِنَا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَادِلًا، وَإِنْ كَانَ يُطَبِّقُ شَرِيعَةَ اللَّهِ بِدِقَّةٍ، فَلَنْ يَقْبَلَ أَنْ يَدْفَعَ أَحَدًا حَيَاتُهُ عَنْ حَيَاةِ شَخْصٍ آخَرَ. وَلِهَذَا رَفَضَ تَمَامًا الْجَانِبَ الْبَدِيَّ لِلْكَفَّارَةِ، وَكَذَلِكَ الْبُعْدَ الْإِسْتِرْضَائِيَّ لِلْكَفَّارَةِ - وَكِلَاهُمَا عَقِيدَتَانِ أَسَاسِيَّتَانِ فِي الْمَسِيحِيَّةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

وَفِي الْمُقَابِلِ، تَبَنَّى مَا يُعْرَفُ بِاسْمِ "النَّظَرِيَّةِ الْحُكُومِيَّةِ" لِلْكَفَّارَةِ، أَوْ مَا يُعْرَفُ أَحْيَانًا بِاسْمِ "رَأْيِ التَّأثيرِ الْأَخْلَاقِي" عَنِ الْكَفَّارَةِ. فَبِحَسَبِ رَأْيِ فِينِي، الْمَسِيحُ لَمْ يُرِضْ عَدْلَ اللَّهِ. وَبِكَلِمَاتِ فِينِي، تَحَدَّثَ عَنْ "نَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنْ إِرْضَاءِ الْعَدَالَةِ الْعَامَّةِ". فَمِنْ خِلَالِ الصَّلِيبِ وَإِبْقَاعِ الدَّيْنُونَةِ عَلَى الْمَسِيحِ، أَظْهَرَ اللَّهُ لِلْعَالَمِ أَنَّهُ يَأْخُذُ الْحُطِيَّةَ عَلَى مَحْمَلِ الْحِدِّ، وَأَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ الْحُطِيَّةَ عَلَى مَحْمَلِ الْحِدِّ. وَإِنْ لَمْ نَتُبْ عَنْ حَطَايَانَا، سَيَحِلُّ عَلَيْنَا عَضْبُ اللَّهِ الْعَادِلُ. كَذَلِكَ، يُخَلِّصُنَا اللَّهُ بِالصَّفْحِ عَنَّا، وَلَيْسَ بِتَبْرِيرِنَا عَلَى أَسَاسِ بَرِّ شَخْصٍ آخَرَ. لَكِنَّهُ يَصْفَحُ عَنَّا. وَيُمْكِنُ لِحَقِيقَةِ أَنَّ اللَّهَ يَصْفَحُ عَنَّا بِرَحْمَتِهِ أَنْ تَقُودَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْتِهَانَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْبِرِّ، وَإِلَى انْعِدَامِ حَاجَتِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ، ظَنًّا مِنْهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَأْخُذُ الْحُطِيَّةَ عَلَى مَحْمَلِ الْحِدِّ. وَكَيْ يُظْهِرَ لِلْعَالَمِ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ الْحُطِيَّةَ عَلَى مَحْمَلِ الْحِدِّ، حَدَّثَ الصَّلِيبُ. لَكِنَّ الصَّلِيبَ لَيْسَ فِدَائِيًّا، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ تُصْنَعْ فِيهِ كَفَّارَةٌ لِأَجْلِكَ وَلَا لِأَجْلِي. لَكِنَّهُ يُظْهِرُ لِلْعَالَمِ مَدَى جِدِّيَّةِ دَعْوَتِنَا إِلَى الْبِرِّ، وَمَدَى خُطُورَةِ الشَّرِّ. فَهُوَ مِثَالُ تَوْضِيحِيٍّ يَقْضِي عَلَى التَّوَجُّهِ الْإِسْتِبَاحِيِّ. وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِمُصْطَلَحِ "إِرْضَاءِ الْعَدَالَةِ الْعَامَّةِ". فَهُوَ يُحَدِّثُ مِنَ الظَّنِّ بِأَنَّهُ بِمَا أَنَّ اللَّهَ رَحُومٌ وَرَوْوْفٌ، يَصِيرُ لَدَيْنَا تَصْرِيحٌ بِارْتِكَابِ الْحُطِيَّةِ.

إِذَنْ، كَانَ جَوْهَرُ كِرَازَةِ فِينِي وَتَعْلِيمِهِ هُوَ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى تَغْيِيرِ حَيَاتِهِمْ، وَالتَّحْسِينِ مِنْ سُلُوكِهِمْ، وَالتَّوَقُّفِ عَنِ ارْتِكَابِ الْحُطِيَّةِ، وَالسُّلُوكِ بِالطَّاعَةِ وَالْبِرِّ، لِأَنَّ فِينِي رَأَى أَنَّ الْوَسِيلَةَ الْوَحِيدَةَ لِئِبْرَارِ اللَّهِ أَحَدَهُمْ هِيَ أَنْ يَتَقَدَّسَ أَوَّلًا. فَلَنْ يُعْلِنَ اللَّهُ بِرَّ أَحَدِهِمْ إِلَّا حِينَ يَكُونُ بَارًّا بِالْفِعْلِ.

إِذَنْ، بِحَسَبِ فِينِي، التَّبْرِيرُ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّقْدِيسِ. لَكِنَّ بِحَسَبِ اللَّاهُوتِ الْبُرُوتَسْتَانِيَّ الْكَلَّاسِيكِيَّ، التَّقْدِيسُ نَاتِجٌ عَنِ التَّبْرِيرِ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى تَبْرِيرِنَا. فَإِنَّا نَتَبَرَّرُ بِفَضْلِ بَرِّ الْمَسِيحِ. ثُمَّ تُشِيرُ عَمَلِيَّةُ تَقْدِيسِنَا إِلَى كَيْفِيَّةٍ مُشَابِهَتِنَا لِصُورَةِ الْمَسِيحِ. لَمْ يَكُنْ هَذَا رَأْيِي فِينِي. فَقَدْ قَالَ إِنَّهُ عَلَى الشَّخْصِ أَنْ يَتَجَدَّدَ بِتَوْقُفِهِ عَنِ ارْتِكَابِ الْحُطِيَّةِ، وَالرُّجُوعِ عَنْهَا، وَالْمَجِيءِ إِلَى الْمَسِيحِ، وَالسُّلُوكِ بِالْإِسْتِقَامَةِ، وَبِأَنْ يَكُونَ بَارًّا. وَفَقَطَّ حِينَ يَكُونُ بَارًّا، يُعْلِنُ اللَّهُ بِرَّهُ.

عَلَى تَقْيِيزِ فِكْرِ إِدْوَارْدِزْ، وَاللَّاهُوتِ الْكَلَّاسِيكِيَّ، يَكْمُنُ جَوْهَرُ لَاهُوتِ فِينِي فِي رَفْضِهِ الْقَاطِعِ لِلْحُطِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ. فَتَظِيرُ بِيلاجِيُوسُ مِنْ قَبْلِهِ، أَقَرَّ فِينِي بِأَنَّ الْبَشَرَ يُحْطِئُونَ، لَكِنَّ لَيْسَ بِسَبَبِ وُجُودِ فَسَادٍ مُتَأَصِّلٍ فِي طَبِيعَتِهِمْ. لَكِنَّهُمْ

يُخَطِّطُونَ نَتِيجَةَ مُمَارَسَتِهِمْ لِإِرَادَتِهِمْ. فَالْإِنْسَانُ، فِي حَالِهِ الطَّبِيعِيَّةِ، الَّتِي يُوَلَدُ بِهَا، لَدَيْهِ كُلُّ مِنَ الْقُدْرَةِ الطَّبِيعِيَّةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَارًّا، وَكَذَلِكَ الْقُدْرَةُ الْأَخْلَاقِيَّةِ.

فِي فِتْرَةِ مُبَكَّرَةٍ، انبَهَرَ فِينِي بِتَعَالِيمِ جُونَاثَانَ إِدْوَارْدِزْ. لَكِنْ بِحُلُولِ وَقْتِ كِتَابَةِ "الْلَاهُوتِ النِّظَائِي"، كَانَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى انْتِقَادِ لَاهُوتِ جُونَاثَانَ إِدْوَارْدِزْ، وَلَا سِيَّمَا تَمْيِيزِ إِدْوَارْدِزْ بَيْنَ الْقُدْرَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ الطَّبِيعِيَّةِ. قَالَ إِدْوَارْدِزْ إِنَّ لَدَيْنَا الْقُدْرَةَ الطَّبِيعِيَّةَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ، لَكِنْ لَيْسَتْ لَدَيْنَا الْقُدْرَةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ عَلَى فِعْلِ أُمُورِ اللَّهِ. رَفَضَ فِينِي ذَلِكَ تَمَامًا، قَائِلًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا تَزَالُ لَدَيْهِ، فِي طَبِيعَتِهِ، وَبِدُونِ مُسَاعَدَةِ النِّعْمَةِ، الْقُدْرَةُ عَلَى السُّلُوكِ فِي طَاعَةٍ تَامَّةٍ. وَفِي هَذَا الصِّدِّ، كَانَ يَبْلَاجِيًّا حَتَّى النُّخَاعِ.

وَقَدْ عَرَفَ التَّجْدِيدَ بِأَنَّهُ تَغْيِيرٌ يَحْدُثُ بِقَرَارٍ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَهُوَ تَغْيِيرٌ فِي الْفِكْرِ، وَالسُّلُوكِ، يَحْدُثُ حِينَ يَفْتَنِعُ الشَّخْصُ بِحَاجَتِهِ إِلَى التَّغْيِيرِ، وَيَقْرُرُ أَنْ يَتَغَيَّرَ.

دَعُونِي أَفْرَأ لَكُمْ مَا قَالَهُ فِينِي نَفْسُهُ فِي رَأْيِهِ عَنِ التَّجْدِيدِ. قَالَ: "يَتَمَثَّلُ التَّجْدِيدُ فِي تَغْيِيرِ تَوَجُّهِ الْإِرَادَةِ، أَوْ تَغْيِيرِ قَرَارِهَا النِّهَائِيِّ، أَوْ مَا تَفَضَّلُهُ". ثُمَّ قَالَ: "هَذَا التَّغْيِيرُ سَلْبِيٌّ وَإِجَابِيٌّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ". مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ أَوْضَحَ ذَلِكَ قَائِلًا: "هُوَ سَلْبِيٌّ مِنْ حَيْثُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُّسُ. أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ لَيْسَتْ جُزْءًا مِنَ التَّجْدِيدِ، لَكِنَّهَا مُتْرَامَةٌ مَعَ التَّجْدِيدِ. وَهِيَ تُحْدِثُ التَّجْدِيدَ. فَهِيَ شَرْطٌ وَسَبَبٌ لِلتَّجْدِيدِ. وَبِالتَّالِي، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ الْخَاضِعُ لِلتَّجْدِيدِ مُسْتَقْبَلًا أَوْ مُتَلَقِيًّا سَلْبِيًّا لِلْحَقِّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُّسُ، فِي لَحْظَةٍ، وَفِي أَثْنَاءِ التَّجْدِيدِ. ثُمَّ يَعْمَلُ الرُّوحُ الْقُدُّسُ فِيهِ بِوَسْاطَةِ الْحَقِّ. وَحَتَّى الْآنَ، يَظَلُّ سَلْبِيًّا. ثُمَّ حِينَ يَقْبَلُ الْحَقَّ، يَصِيرُ إِجَابِيًّا. فَلَا يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَوْ أَيُّ كَائِنٍ آخَرَ أَنْ يُجَدِّدَهُ مَا لَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْ طَرِيقِهِ. فَإِنْ لَمْ يُغَيَّرْ مِنْ قَرَارِهِ، مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَغَيَّرَ، لِأَنَّ التَّجْدِيدَ هُوَ تَغْيِيرٌ لِلْقَرَارِ".

أَتَسْمَعُونَ مَا يَقُولُهُ؟ إِنَّا نَكُونُ سَلْبِيِّينَ فِي فَهْمِنَا وَمَعْرِفَتِنَا لِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُّسُ. وَلِهَذَا مِنَ الْمُهِّمِّ أَنْ يَكُونَ الْكَارِزُ مُقْتَنِعًا وَوَاضِحًا فِي حُجَّتِهِ، حَتَّى يُغَيِّرَ فِكْرَ الشَّخْصِ، بِحَيْثُ يَتَّخِذُ الْقَرَارَ السَّلِيمَ. لَكِنْ، لَا حَاجَةَ إِلَى اجْتِنَاحِ الرُّوحِ الْقُدُّسِ لِلْقَلْبِ أَوْ النَفْسِ، حَتَّى يُغَيَّرَ مِنْ طَبِيعَةِ الْخَاطِئِ الْجَوْهَرِيَّةِ، كَيْ يَتُوبَ. فَلَا مُرُ بَتَعَلُّقٍ فَقَطْ بِقَرَارِهِ، تَتَّخِذُهُ إِرَادَةً لَمْ تَعُدْ، أَوْ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا، مُسْتَعْبَدَةً لِلْخَطِيئَةِ.

فَالْإِنْسَانُ الطَّبِيعِيُّ، بِحَسَبِ فِينِي، حَيٌّ وَعَلَى مَا يَرَامُ. فَهُوَ مُصَابٌ بِمَرَضِ اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الْخَاطِئَةِ، لَكِنْ يُمَكِّنُهُ التَّعَافِي بِقَرَارِ أَخْلَاقِيٍّ مِنْهُ. هَذِهِ النُّظْرَةُ لِلرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ أَصْبَحَتْ، وَفَقًّا لِاسْتِظْلَاعَاتِ الرَّأْيِ، سَائِدَةً فِي غَالِبِيَّةِ الْكَنَائِسِ الَّتِي تَدَّعِي كَوْنَهَا انْجِيلِيَّةً. وَأَعْتَقِدُ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْبِدَايَةِ، أَنَّ الْمُسْكَلَةَ الَّتِي نُوَاجِهُهَا هِيَ تُسْرُبُ نَظْرَةَ وَثْنِيَّةٍ عَنِ الْإِنْسَانِ

إِلَى الْمُجْتَمَعِ الْمَسِيحِيِّ، وَنَظَرَةٍ وَثَنِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ عَنِ الْإِرَادَةِ، تُنَكِّرُ فِي الْأَسَاسِ تَأْثِيرَ السُّقُوطِ عَلَيْنَا، وَعُبُودِيَّةَ الْإِرَادَةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا الْعَهْدُ الْجَدِيدُ.

وَصَلْنَا الْآنَ إِلَى خِتَامِ اسْتِظْلَاعِنَا الْمَوْجَزِ لِتَارِيخِ الْجِدَالَاتِ الَّتِي نَشَأَتْ فِي الْمَاضِي، بِشَأْنِ مَدَى وَنِطَاقِ فَسَادِ الْإِنْسَانِ، نَتِيجَةَ الْخَطِيئَةِ الْأَصْلِيَّةِ. وَقَدْ رَكَّزْنَا عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ حَتَّى نُدْرِكَ عِظَمَ رَوْعَةِ النِّعْمَةِ. يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ بِأَنَّهُ "حَيْثُ رُوحَ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ". وَيُخْبِرُنَا أَيْضًا فِعْلِيًّا بِأَنَّهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ رُوحَ الرَّبِّ، لَا تُوجَدُ سِوَى عُبُودِيَّةٍ. وَنَقْرَأُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ أَنَّهُ إِنْ حَرَّرْنَا الْإِبْنَ، فَبِالْحَقِيقَةِ نَكُونُ أَحْرَارًا. فَهُوَ قَدْ أَعْتَقْنَا مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَطِيئَةِ، وَمِنَ السَّبِي الْأَخْلَاقِيِّ. وَقَدْ تَنَاوَلْنَا ذَلِكَ لَيْسَ فَقَطْ لِئِنْفَكَّرَ فِي أُمُورٍ فَلَسْفِيَّةٍ وَلَا هَوْتِيَّةٍ نَظَرِيَّةٍ، وَإِنَّمَا كَيْ نُنْسَبَ، بِهَذِهِ الْحُرِّيَّةِ الْجَدِيدَةِ، الْكِرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْحَمْدَ، عَلَى هَذِهِ الْحُرِّيَّةِ، إِلَى مَصْدَرِهَا الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ نِعْمَةُ اللَّهِ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ وَحْدَهَا.

الدكتور أ. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة ساتفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" و"أدهشني الألم".